إمكانية المعرفة وموقف الفكر الإسلامي من مذاهب الشك

د. علي بن العجمي العشي
أستاذ العقيدة المساعد - كلية العلوم الإدارية والإنسانية - جامعة العلوم والتكنولوجيا

مقدمـــة:

السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن جوهر المعرفة ومضمونها، وهو الحقيقة - أي هل يمكننا أن ندرك الحقيقة؟ - ولو عدنا إلى جذور الجدل الفلسفي لوجدنا تساؤلات أبعد وأعمق من مدى إمكانية المعرفة، كوجود الحقيقة وإمكان إدراكها، ولكنها مغالطات السفسطائيين التي تساقطت مع إحكام أدوات المنطق، والقياس، وتطور أسلوب الجدل والحوار على أيدي سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ومن تلاهم.

وأصبح السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن المعرفة التي توصل إلى جوهر الوجود الحسي، وغير الحسي وحقائقه، فالحقيقة إذن هي الهدف لكل باحث في مجال نظرية المعرفة.

ومن ثمّ يكون الخوض في نظرية المعرفة من حيث طبيعتها، وأدواتها، ومصادرها مبنياً على تثبيت فرض إمكانية المعرفة. والفلاسفة الذين يأخذون بهذا الفرض هم الاعتقاديون في مقابل الشكّاك الذين ينكرون المعرفة جملة، وينكرون موضوعها أيضاً وهو الحقيقة المنشودة، ورغم ذلك تقارب المذهبان كثيراً فلم يعد ثمّة شك مذهبي كما لم يعد ثمّة اعتقاد مذهبي يتميّز أنصاره عن الشكاك، وإنما هو تدرج وتداخل يجعل من المذهب شكيّاً يقينياً في الوقت نفسه، فهو يقيني ضد الشك المطلق، وشكي ضد اليقين المطلق.

وعلى ذلك سيكون درسنا في إمكان المعرفة من خلال دراسة مذاهب الشك بنوعيه (معرفي أو "مطلق"، ومنهجي) ثم دراسة مذاهب التيقن، وموقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق، والشك المنهجي في أربعة مطالب.

المطلب الأول: دراسة مذاهب الشك في المعرفة

أولاً: مذاهب الشك المطلق (Scepticism):

وهو ما يعرف أيضاً بالشك المعرفي لكونه شكاً في أصل المعرفة وموضوعها. والشك - بوصفه نظرية في المعرفة - هو دعوة إلى عدم إصدار أي حكم بحسبان أن القضايا كافة، تقبل السلب والإيجاب بالقدر نفسه، مع الاعتقاد بأن أدوات المعرفة (الحواس والعقل) لا تكفل بلوغ اليقين.[١]

أ) جذور الشك المعرفي (المطلق):

بالرغم من أن الشك في أصله هو التردد في إصدار حكم بغرض الإمعان والتفحص، وهو ما يطابق معنى اللفظ اليوناني.[٢] إلا أن الشك القديم لم يكن يحمل هذا المعنى كما أنه اتخذ معنى جديداً في وقت لاحق.

فالشك نشأ في خضم الصراع بين الفلسفة والسفسطة، حيث شهد القرن الخامس قبل الميلاد كثرة المغالطين، وعلى رأسهم بروتاغوراس[٣]،

(١) انظر: الطويل - أسس الفلسفة، ص٣٠٦، وأيضاً سليمان وسعيد، نظرية المعرفة، ص٩١.

(٢) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة ١٦/٢.

(٣) بروتاغوراس (Protagoras): سفسطائي يوناني، عاش فيما بين (٤٨٥ - ٤١١ ق.م)، كان صاحب مذهب حسي ونسبي، عارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الآراء ووجهات النظر، صاحب القول المشهور " الإنسان مقياس الأشياء " وهو القول الذي نقده أفلاطون في محاورة ثياتوتوس، كان متشائماً ولكنه لم يذهب في تشاؤمه إلى حد عدمية غورغياس، وكان يرى أن كل شئ نسبي. انظر في ترجمته الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص١٢٠ - ١٢٣. وانظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص١٧٠. وانظر الموسوعة الفلسفية، ص٨١.

وغورغياس[٤]؛ فبروتاغوراس ينفي وجود حقيقة مطلقة بقوله: (ما دام كل شيئ يتحول، ولا شيئ يبقى فليس هناك حقيقة مطلقة، وأما ما يسميه كل واحد منّا حقيقة، فهو ما يظهر له في الوقت الذي يتحدث فيه..)[٥] وأما غورغياس فينفي الحقيقة، والمعرفة، وإمكان إبلاغها للآخرين وذلك في كتابه (اللاوجود).

وحيث لم يحسم الصراع بين الفلسفة والسفسطة، خلد بعض الفلاسفة إلى الشك بوصفه مذهباً فلسفياً. وأول من ظهر على يديه هذا المذهب هو فيرون (Pyrrhon).[٦]

ب) المدرسة الفيرونية:

وهذه المدرسة تنكر إمكان معرفة طبيعة الأشياء، وترى أن المعرفة الحسية والعقلية ليس لها قدرة تعريفنا بالحقيقة وإيصالنا إليها، فنحن لا ندرك من الأشياء إلا ما (يبدو) لنا. وكأن الأشياء خارج الذات المدركة محض مظهر، أما إدراك طبيعة ذوات الأشياء فلا سبيل إليه.[٧] ذلك لأن المعرفة - في رأي هذه المدرسة - تتأسس على الإدراك الحسي، والحواس خادعة لا تقود إلى معرفة يقينية؛ وحتى النظر العقلي - عند الفيرونيين - يتأسس على الحس فمعرفته

---

(٤) (غورغياس) (Goragias): ولد في صقلية نحو عام ٤٨٥ ق. م، كان ألمع ممثل لمعلمي السفسطة القديمة، وضع كتاباً بعنوان " في الطبيعة " أو " اللا وجود " وخلاصة فلسفته ترتكز على الشك التام في كل شئ، عاش حوالي مائة سنة، انظر في ترجمته: طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص٤٣٨ - ٤٣٩.

(٥) البير ريفو، الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها التاريخية (ترجمة عبدالحميد محمود) طبعة مكتبة دار العروبة، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٠٢. وأيضاً أحمد البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٧.

(٦) فيرون (Pyrrhon) وردت ترجمته بلفظ (فورون) و (بيرون) وهو فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٣٦٥ - ٢٧٥ ق. م)، ولد بمدينة إيليس وإليها نسب (فيرون الإيليسي) رافق الإسكندر في إحدى رحلاته إلى الهند وأعجب بفقرائها. ولكن لم يثبت تأثره بفلاسفتها، عاد إلى اليونان فأسس مدرسة أو ما يشبه المدرسة وأسس مذهب الشك المطلق وتتلمذ عليه أستاذ أبيقور صاحب المذهب الأبيقوري. أنظر بدوي، موسوعة الفلسفة ١٦/٢ - ١٧.

(٧) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٦/٢ - ١٧، وأيضاً الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٠٥، وأحمد البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨.

حسية غير مباشرة ومن ثمّ يكون أولى أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحس من حيث عدم يقينية المعرفة.

وخلاصة ما يمكن أن يصل إليه الفيلسوف أو المفكر برأي هذه المدرسة هو أن كل ما يحصّله من معارف إنما هو ظني غير يقيني، وإذا كانت غاية الفلسفة في جميع مذاهبها هي الوصول إلى حقيقة يقينية تطمئن إليها النفس؛ ولما كان هذا اليقين غير متحقق عند الفيرونيين؛ لذا فهم يرون أن على الإنسان أن يتوقف عن إصدار أي حكم ومن ثمّ يصوم عن الكلام مطلقاً، ولما كان هذا الوضع مستحيلاً على الإنسان العاقل ؛ فيتنازل الفيرونيون قليلاً ويؤمنون بأن الأفعال الضرورية لا تحتاج إلى معرفة يقينية بل يستطيع الإنسان للضرورة العملية أن يلجأ إلى هذه المعارف الظنية.(٨)

ج) الأكاديمية الجديدة:

وهي مدرسة فلسفية حملت اسم أكاديمية أفلاطون وجدّدت ذكرها بالرغم من اتجاهها نحو الشك المطلق مبتعدة عن الأفكار التوجيهية الرئيسة لأفلاطون(٩) الذي عرف بتصديه لإنكار السفسطائيين.

---

(٨) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ٢/ ١٨.

(٩) أفلاطون: فليسوف يوناني ولد في أثينا عام ٤٢٨ ق. م تقريباً وينحدر أفلاطون من عائلة غنية ذات مال وجاه وكانت لها اليد الطولى في حكم أثينا وقيل إنه لقب بهذا الاسم (أفلاطون) لعرض جبهته وقال آخرون لعلمه الواسع، وقد تتلمذ على يد أستاذه سقراط وهو في عمر يناهز العشرين وقد قام أفلاطون برحلات كثيرة طاف فيها بلدان كثيرة منها مصر وقورنيا وكان بارعاً في الموسيقى والرياضة واسع الخيال. أسس في أثينا مدرسة عظيمة عرفت باسم الأكاديمية، قال بنظرية المثل في المعرفة وبأن المعرفة تذكر والجهل نسيان وبأن العقل هو أساس المعرفة، توفي عام ٣٤٧ أو ٣٤٨ ق. م. انظر في ترجمته وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط/١ - ١٩٧٨م - ص١١٢ - ١١٣ وانظر محمد عبد الرحمن مرحبا - مع الفلسفة اليونانية - منشورات عويدات - بيروت - لبنان - ط/٣ - ١٩٨٣م، ص١٢٢. وانظر د. محمد رضا عبد الفتاح - الديالكتيك والحب عند أفلاطون (ضمن مشكلات فلسفية) - منشأة المعارف بالإسكندرية - ط/١ - ١٩٩٩م، ص٢٩١، وانظر الموسوعة العربية الميسرة، ص١٨١، وانظر تراث الإنسانية، دار الرشاد الحديثة، =

وهــذه الأكاديميــة عاصــرت مدرســة فــيرون والمدرســتين الأيبقوريــة[١٠] والرواقيــة[١١] وأشــهر فلاســفة هــذه الأكاديميــة همــا : أرســيزيلاس[١٢] وكرنيادس[١٣].

وقد قام أرسيزيلاس بالتنقيب عن الشك في فلسفات الآخرين ليؤكد أن جميع الفلاسفة قد مالوا إلى الشك وأخذوا به، فنسب الشك إلى سقراط[١٤] وأفلاطون وأرسطو[١٥] والعديد من الطبيعيين الأقدمين.[١٦]

=القاهرة، بدون تاريخ للطبع ولا عدد، الجزء الثالث، " جمهورية أفلاطون "، للدكتورة أميرة حلمي مطر، ص٢٨٤.

(١٠) الأبيقورية: هي المدرسة المنسوبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور، ومذهب هذه المدرسة يقوم على إسعاد الذات بلذات معنوية لا يعقبها ألم، أما في اللّغة الجارية فإن الأبيقوري هو الرجل الذي يحب التمتع باللّذات والخيرات ويكون حاذقاً في اختيار لذاته دقيقاً في معرفة قيمتها. انظر د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ٣٤/١ وانظر طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص٤٠ - ٤٢.

(١١) الرّواقية: في الفرنسية stoicisme وفي الإنجليزية Stoicism: وهي المدرسة التي تنسب إلى زينون (Zenon) الكتيومي وكليانت Cleanthe وسنكا وأبكتاتوس وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان، وقد سمّوا بالرواقيين لأن زينون الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلّم تلاميذه في رواق. والمدرسة الرواقية ترى أن السعادة في الفضيلة وأن الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم، حتى أن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار، وهم يرون أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية، وأن النار أصل الوجود. انظر د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ٦٢٢/١ - ٦٢٣.

(١٢) أرسيزيلاس (Arcesilaus) ويترجم أيضاً (أركسيلاوس) و (أرسيزيلاش)، فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٣١٦ - ٢٤١ ق. م) وهو مؤسس الأكاديمية الأفلاطونية في طورها الثاني (الأكاديمية الجديدة) اشتهر بمساجلاته ضد المدرسة الرواقية. (انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١٨)، وأيضاً (الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٠٤) و (البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨).

(١٣) كرنيادس ((Carnedades وترجم أيضاً (كارنياد) عاش في الفترة (٢١٤ - ١٢٩ ق. م) تزعم الأكاديمية الجديدة في طورها الثالث، وساجل (الأبيقوريين). انظر: بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص٢٠، وأسس الفلسفة، ص٣٠٤، ومحاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨.

(١٤) سقراط: فليسوف يوناني عاش فيما بين (٤٦٩ - ٣٩٩ ق. م) لم يترك سقراط كتابات خاصة به، وحسب إفادات أرسطو عنه أنه شغل نفسه بمكارم الأخلاق وأنه أول من أثار مشكلة التعريف والبحث عن الماهية والاستدلال القياسي والأدلة الاستقرائية، دافع سقراط عن العقل ورد على السفسطائيين، حكم عليه بالإعدام بتهمة إفساد الشباب وعدم اعتقاده في آلهة المدينة. انظر في ترجمته طرابيشي، معجم الفلاسفة، =

وأكثر ما تجلى موقف الأكاديمية من قضية المعرفة في نقدهم للرواقيين والأبيقوريين الذين مثلوا جانباً من الفلسفة الاعتقادية في ذلك الوقت، فأرسيزيلاس مثلاً ينكر النوع الوحيد من المعرفة الذي يقول به الرواقيون وهو المعرفة الحسية استناداً إلى خداع الحواس، وأن الإدراك بها لا يوصل إلى الحقائق اليقينية، وثار الخلاف في ما رمى إليه من ذلك، هل كان نقد المعرفة الحسية، وتفضيل المعرفة النظرية تأييداً لأقوال المؤسس الأول للأكاديمية (أفلاطون)؟، أم أنه ينتقد إمكان المعرفة مطلقاً؟ حيث إنه يثبت أن الحس هو سبيل المعرفة الوحيد كما يزعم الرواقيون أولاً ثم يوجه سهامه إلى هذا المصدر الوحيد مزعزعاً الثقة في يقينية المعرفة.(١٧)

ويتفق أرسيزيلاس مع فيرون بأن انتفاء المعرفة اليقينية لا يلغي الحركة والعمل، وإنما يمكن تأسيس العمل على هذه المعرفة الظنية، بل يرى العمل سابقاً للفكرة فالإنسان يسعى ويتحرك، ثم يقيِّم مدى معقولية عمله.

ثم جاء كرنيادس امتداداً لأكاديمية أرسيزيلاس، وكما جعل الأخير همّه محاربة الرواقيين كذلك جعل كرنيادس من محاربة الأبيقوريين أولى واجباته، فكرنيادس ينكر الإدراك الحسي والنظر العقلي، ولكن أضاف مفهوم معيار

=ص٣٦٥ - ٣٦٧. وانظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٢٥٦ - ٢٦٢. وانظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٤م، ٥٧٦/١ - ٥٧٩.

(١٥) أرسطو فيلسوف يوناني تتلمذ على يد أفلاطون ولكنه خالف أستاذه فلم يتبع الفلسفة المثالية وإنما أسس الفلسفة الواقعية، يعد من أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وهو أول من دون علم المنطق وكان له أثره في العصور التي لحقته، ولد سنة ٣٨٤ ق. م وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م انظر William GH. Freeman, Physical Education in a changing society U.S.A. 1977 pp 134. وانظر الموسوعة العربية الميسرة، ص١١٧. وانظر جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٩٧م، ص٥٢ - ٥٧. وانظر د. عبد الحليم منتصر - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط/٦ - ١٩٧٥م، ص٣١ وما بعدها.

(١٦) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٩/١.

(١٧) انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة ١٩/١.

الحقيقة حيث يقاس التيقن بقياس التصور إلى الذات المدركة، وليس إلى ذوات الموضوع الخارجي حيث لا ندرك حقيقة الموضوع الخارجي في ذاته. وأيضاً مفهوم تدرج الحقائق أو التيقن، ويقرّ فيه بأن اليقين ليس على درجة واحدة وأن الانتقال من اليقين إلى الجهل، ومن الجهل إلى اليقين يتم بطريقة تدريجية.[18]

د) الشكاك المحدثون:

إذا كان الشك الفيروني قد انفض في القرن الثالث قبل الميلاد، ونشأ في أعقابه مذهب الأكاديمية الجديدة، فإن القرن الثاني بعد الميلاد قد شهد مدرسة جديدة في الشك المطلق امتد عمرها حتى القرن الثالث بعد الميلاد. وهذه المدرسة وضعت الحجج العشر ثم خلصت إلى الحجج الخمس النهائية للشك في العصر القديم.[19]

ومثّل مذهب الشك المطلق في عصور لاحقة بعض الفلاسفة الفرنسيين والإنجليز في القرنين السادس عشر والثامن عشر، وتلاشى هذا المذهب تدريجياً إذ كانت حالة الشك عند ديفيد هيوم[20] مثلاً أخف وطأة مما هي عليه عند أسلافه من الشكاك الأوائل، إذ ينكر هيوم المعرفة العقلية ويقرّ بالحسية

(18) المصدر نفسه، ٢٠/١ - ٢١.

(19) انظر الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٠٩، وأيضاً بدوي، موسوعة الفلسفة، ٢٢/١ - ٢٣.

(20) ديفيد هيوم: (١٧١١ - ١٧٧٦م) فليسوف إنجليزي تجريبي عرف بمذهب (الشك الأكاديمي) وكان يسمي نفسه (بالشكاك)، عالم نفس ومؤرخ، المعرفة عنده لا تكمن في فهم الوجود بل في قدرتها على أن تكون دليلاً للحياة العملية، وعنده أن الموضوع الوحيد للمعرفة الأصلية هو الرياضيات، فجميع موضوعات الدراسة الأخرى تتعلق بوقائع لا يمكن البرهنة عليها منطقياً، ولا يمكن استخلاصها من التجربة، وجميع الآراء في الموجودات تنطلق هي الأخرى من التجربة، رفض جميع العقائد اللاهوتية والفلسفية عن الله. والنزعة الشكية عند هيوم هي الأساس النظري للفلسفة الوضعية الجديدة، كما ينكر هيوم أن للإنسان أفكاراً فطرية "innate ideas".

المبنيّة على التجربة[٢١]، وكذلك كان شك (باركلي)[٢٢] وسطاً بين المطلق والمنهجي.[٢٣]

ومن ثمّ يمكن عدّ الشك المنهجي تطوراً طبيعياً وموضوعياً باتجاه توظيف الشك لصالح بناء المعرفة اليقينية.

ثانياً: الشك المنهجي وأغراضه:

أ) مدخل: خلافاً لأصحاب الشك المطلق الذين يقعون في الحيرة فيمتنعون عن إصدار الأحكام، فإن أصحاب الشك المنهجي قد اتخذوا من الشك سبيلاً إلى اليقين، وهو عملية اختيارية هدفها إفراغ العقل مما فيه من معلومات سابقة قد تكون عرضة للمغالطة وعدم التأكيد، وذلك لتهيئة العقل لدراسة الأمور دراسة موضوعية غير متأثرة بالمفاهيم الشائعة والأخطاء المألوفة.[٢٤]

والشك المنهجي قديم في جذوره، إذ نجد له أساساً عند سقراط في أسلوب جدله مع السفسطائيين من خلال التهكم والاستفهام من موقع ادعاء الجهل وذلك بغرض تحرير العقل وتهيئته للحقائق الموضوعية.

ونجد كذلك عند أرسطو حثّاً على الشك بالقدر الذي يحفز على تلمس سبيل اليقين، حيث يقول في ذلك:

(إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين يسيرون على غير هدى فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه).[٢٥]

---

(٢١) انظر البهادلي، محاضرات في العقيدة، ص١٠٠.

(٢٢) باركلي: (١٦٨٥ - ١٧٥٣ م)، ولد في أيرلندا، كان أجداده من الإنجليز البروتستانت، كان يعمل بنشاط وهمة للتبشير بالدين المسيحي، من مؤلفاته " محاولة من أجل نظرية جديدة في الرؤية " و " أصول المعرفة البشرية "، انظر في ترجمته: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ص٧٩. وانظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٩٣ - ١٠٣.

(٢٣) انظر الطويل، أسس الفلسفة، ص٣١١.

(٢٤) انظر سليمان وسعيد، نظرية المعرفة، ص٩٢.

(٢٥) أرسطو، ما بعد الطبيعة، انظر في ذلك: الطويل، أسس الفلسفة، ص٣١٧.

ومع عودة الدراسات الفلسفية إلى الازدهار في أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ظهرت بذور مذهب الشك المنهجي ولكن لم يتأطر هذا الشك بوصفه نظريةً وأسلوباً علمياً مقنّناً للبناء المعرفي إلا على يد ديكارت[٢٦] الذي يصفه بأنه (وسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحاً).[٢٧] وهو الشك نفسه الذي يقول عنه الإمام الغزالي[٢٨]: (الشكوك هي الموصلة إلى الحقائق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال).[٢٩]

ب) الشك عند الغزالي:

عرف الغزالي بالشك لدى الفلاسفة والمفكرين من المسلمين وغيرهم، ولكن الذي اختلفوا فيه أمران: الأول: هو مدى ارتباط الغزالي بالفلاسفة، ومن ثمّ مدى إمكان عدِّ أقواله وآرائه نظريات فلسفية، أو هي اجتهادات فقيه مسلم في نطاق صفته بوصفه فقيهاً مسلماً وسنّياً متصوّفاً، ومرد ذلك أنه رغم مناهضته للفلاسفة جملة، ورفضه كثيراً من القضايا التي شكّلت موضوعاً

---

(٢٦) ديكارت: Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) هو من أشهر الفلاسفة الفرنسيين، يعرف في تاريخ الفلسفة بأنه أبو الفلسفة الحديثة، ومتزعم الاتجاه العقلي فيها، من أهم مؤلفاته: " مقال في المنهج "، انظر في ترجمته: بوخينسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/٢، ١٩٧٩م، ص٤٩.

(٢٧) زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٣م، ص٥٩.

(٢٨) الغزالي هو أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي الشافعي حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ تلقى العلم على إمام الحرمين الجويني - ولاه نظام الملك التدريس بمدرسته النظامية ببغداد، لجأ في آخر أمره إلى التصوف وأقبل على العبادة والسياحة وتلاوة القرآن. توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ. من أشهر مصنفاته إحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد وغيرها من المصنفات القيمة، انظر في ترجمته شذرات الذهب - ٤/١٠ - ١٣ وانظر ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٣٥٩هـ، ٩/١٦٨ - ١٧٠.

(٢٩) انظر الغزالي، ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٤٠٩. وفي طبعة مكتبة الجندي، القاهرة، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، ص١٧٥.

للمعرفة، أو طُرُقِ الخوض فيها، وأحياناً ينصب رفضه للنتائج التي يتوصل إليها الفلاسفة، فالمهم أنه في كل ذلك كان يستخدم كثيراً من أدوات الفلسفة، وأساليب الفلاسفة، بل عَدَّ المنطق والقياس من الأدوات اللازمة للفقيه المسلم.

ولعل براعته في استيعاب الأساليب الفلسفية واستخدامها هو الذي جعله يصنف في عداد الفلاسفة لاسيما حديثه وموقفه من الشك، واليقين، وتجربته العملية الشخصية. والأمر الآخر الذي أثار حوله الجدل هو موقفه من الشك فهل كان هذا الشك مطلقاً أم منهجياً؟ فالذين ينسبونه إلى الشك المطلق يتحدثون عن فترة عابرة في حياته شك فيها في كل شيء وكاد يقنط من تلمس طريق اليقين، وهو يقر بأنه تجاوز ذلك بنور قذفه الله في قلبه.

وأما الذين يضعونه في خانة الشك المنهجي، فيأخذون من أقواله أدلتهم إذ يدعو إلى النظر والشك الموصل إلى اليقين وتأسيس المعرفة على البديهيات الأولية بعد التثبت منها.(٣٠)

والرأي عندي أن الشك عند الغزالي لم يبلغ أبداً درجة الشك المطلق الذي يعصف بجميع البديهيات لأننا إن وصفناه بذلك فكأننا نظن أنه مرّ بمرحلة من الإنكار والإلحاد أو الشك في وجود الخالق، ولكن الواقع أن الغزالي وهو في أوج شكه، وقد اعتزل الناس والتدريس، كان مهموماً بأمر الحقيقة، وإن حار في السبيل إليها، فقد شك في مصادر المعرفة، ثم بلغ اليقين بنور قذفه الله في قلبه كما ذكر في كتابه "المنقذ من الضلال".

ومعلوم أن الحدس والإشراق هو مصدر للمعرفة يعترف به العديد من الفلاسفة اليونان والأوربيين، وعلى ذلك يمكن تشبيه فترة الشك عند الغزالي

---

(٣٠) انظر زكريا بشير إمام، دراسات نقدية في الفلسفة الإسلامية، الدار السودانية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٩١م، راجع اقتباساته من كتاب (معيار العلم) للغزالي، ص٢٩٠.

بفترة الاعتزال وإفراغ العقل التي مرّ بها ديكارت من بعد، رغم أن مصدر المعرفة الذي اعتمده ديكارت هو العقل في المقام الأول.

ج) القيمة العلمية للشك المنهجي:

بعد أن تلاشى الشك بوصفه نظرية في المعرفة توطدت أركان الشك بوصفه منهجاً للبحث والتدقيق في المعرفة، وتمدد بأدواته من الشك المعرفي (الشك الإبستمولوجي)، بوصفه موضوعاً فلسفياً إلى شك منهجي يحفز الإنسان للبحث، والنظر، والتدقيق؛ ليشمل العلوم النظرية والتجريبية كافة، سواء تلك التي تولدت عن الفلسفة، واستقلت عنها، أو تلك التي نشأت مستقلة بذاتها.

ثالثاً: مجالات الشك:

بمدارسة نوعي الشك (مطلق - منهجي) تبين لنا أن الشك المطلق هو شك في أصل المعرفة وإمكانيتها لذا يُسمى (بالمعرفي) لإنكاره إمكان المعرفة أو (الفلسفي والمذهبي) لكونه مذهباً فلسفياً يعتقد صاحبه بانتفاء موضوع المعرفة، واستحالة إدراكها، وفي مقابله نشأ الشك المنهجي بوصفه منهجاً للبحث عن الحقيقة لذا سُمي أيضاً (بالعلمي) وهو لا ينتقص من يقينية أصحابه بوجود حقيقة يمكن معرفتها، ومن هذه العلاقة الجدلية بين الإطلاق والنسبية يثور التساؤل حول المجالات التي يمكن أن يتطرق إليها الشك، بل التي طرقها بالفعل.

ومجالات الشك تختلف في دائرة الشك المطلق عنها في دائرة الشك النسبي.

١- مجالات الشك المطلق:

أ- الشك في الحقيقة التي هي موضوع المعرفة، وهو شك في وجودها.

ب- الشك في إمكان معرفة الحقيقة (إن وجدت).

ج- الشك في إمكان إبلاغ المعرفة أو تداولها.

٢- مجالات الشك النسبي:

بعد التسليم بوجود حقيقة وإمكان إدراكنا لها، يظل الباب مفتوحاً لألوان من الشك النسبي أو الجزئي ومن ذلك:

أ) الشك في طبيعة المعرفة: ومصدره تباين المذاهب في تكييف طبيعة المعرفة مما يوقف الفلاسفة موقف الشك تجاه هذا التباين.

ب) الشك في مصادر المعرفة: فإنكار كل مذهب ومدرسة فلسفية لمصدر أو أكثر من مصادر المعرفة هو شك في جدوى هذا المصدر، ومدى يقينية المعرفة المتأسسة عليه، فمن أصحاب المذاهب من يصب شكه على الحواس، ومنهم من يشك في العقل، ومنهم من يشك فيما سوى الحدس والإشراق، وكل ذلك من صور الشك.

ج) الشك طريق إلى اليقين:

وهو شك في المعلومات والآراء المسبقة، وهدفه إفراغ العقل توطئة لإعماره بحقائق يقينية تتأسس على بديهيات أولية، وهذا هو الشك الذي عاشه الغزالي، إذ ظل مؤمناً بالحقيقة الإلهية، كما آمن بالنبوة، واليوم الآخر، وجاء شكه شك باحث عن الحقيقة، مؤمن بوجودها.[٣١]

وحالة إفراغ الذهن أيضاً مرّ بها ديكارت حتى استقر على نقطة من اليقين في حقيقة تفكيره التي أسّس عليها حقيقة وجوده (أنا أفكر إذن أنا موجود).[٣٢]

د) تأسيس العقيدة بين الفطرة والشك والنظر:

وهدف هذا الشك ومجاله ليس المعرفة النظرية، وإنما تأسيس إيمان يقيني بالله، وهذه القضية وإن كان لها شبيهات في الفلسفات، والفكر غير الإسلامي

---

(٣١) انظر محمد عقيل المهدلي، المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت، دار الحديث، القاهرة، ط/٢، ١٩٩٦م، ص١٦٢.

(٣٢) الزنيدي، مصادر المعرفة، ص٧٣.

في قضايا الوجود والعليّة والإلهيات، إلا أننا نتناولها هنا في إطارها الإسلامي بحسبانها نقطةً من نقاط الخلاف المذهبي في قضايا العقيدة والفلسفة الإسلامية.

ومدار هذا الخلاف: واجب المكلف أو الصبي البالغ، هل يتوجب عليه معرفة الله بالفطرة؟ أم بالنظر لبلوغ هذه المعرفة؟ أم أن عليه أن يشك ثم يعرف؟.

وأكثر هذا الخلاف دائر بين المعتزلة والأشاعرة، إذ يرى بعض المعتزلة أن الأوجب هو الشك، وهناك من يرى منهم أنه النظر، غير أن النظر يجب أن يسبقه شك.

والقول بوجوب الشك هنا منسوب لأبي علي الجبائي(٣٣) وابنه أبي هاشم(٣٤)، أما القاضي عبد الجبار فيرى أن الشك والظن يوجبان النظر، أما العالم والجاهل فلا يصح في حقهما، إذ النظر يوجبه التردد في الحكم، يقول في ذلك: (النظر لا يصح إلا مع تجويز كون المدلول على الصفة أو أنه ليس عليها، فيجب أن يقارنه هذا التجويز، وقد يحصل ذلك مع الشك وقد يحصل مع الظن.. ولا يصح ذلك مع العلم، ولا مع الجهل الواقع بالشبهة، لأن العالم والجاهل لا يجوزان خلاف ما اعتقداه)(٣٥) وذلك لأن العالم والجاهل يستشعران سكون النفس بخلاف الشاك والظان.

(٣٣) الجبائي هو: أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من أئمة المعتزلة وإليه تنسب طائفة الجبائية وهو أستاذ أبي الحسن الأشعري قبل تركه الاعتزال ت ٣٠٣هـ، انظر في ترجمته شذرات الذهب ٢٤١/٢ والأعلام للزركلي ٢٥٦/٦.

(٣٤) هو: أبو هاشم الجبائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب من كبار المعتزلة أخذ العلم عن أبيه الجبائي الكبير أسس فرقة تسمى البهشمية وصنف في الأصول (ت ٣٢١هـ) نظر في ترجمته شذرات الذهب ٢٨٩/٢ والأعلام ٧/٤.

(٣٥) انظر القاضي عبد الجبار، النظر والمعارف ١٩٠/١٢.

وانقسم الأشاعرة أيضاً بين الرأيين، فالإمام الجويني[٣٦] يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر - وهو رأي المعتزلة - بينما يرى الإمام الإيجي[٣٧] أن المعرفة تتقدم وطريقها النظر ومن ثم يكون واجباً، ولكن الإيجي لا يرى النظر هو السبيل الوحيد إلى المعرفة فقد تحصل بالإلهام، والتصفية، والتعليم، ولكنه قد يكون السبيل الوحيد لمن وقع في الشك، والشك على العموم حالة طارئة لا يلزم سبقه لكل نظر أو معرفة.[٣٨]

أما شيخ الإسلام ابن تيمية[٣٩] فيرى أن للفطرة أثراً أساسياً في معرفة الله، ثم من حصل له الشك ولم يكن من سبيل لدفعه سوى النظر؛ يلزمه النظر - فهو يوافق رأي الإيجي - كما يرى الشك أمراً عارضاً علاجه النظر - وفي

---

(٣٦) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (إمام الحرمين) من كبار أعلام الأشاعرة في العقيدة، ومن كبار فقهاء الشافعية، ولد سنة ٤١٩هـ، من مصنفاته الإرشاد والشامل والعقيدة النظامية والبرهان في أصول الفقه ت ٤٧٨هـ، انظر شذرات الذهب ٣٥٨/٣. وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١٦٧/٣.

(٣٧) هو القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي - عالم بالأصول والعربية والمنطق من كبار علماء الأشاعرة، ولد بإيج من نواحي شيراز وأخذ عن مشايخ عصره، كان إماماً في المعقول، قائماً بالأصول، من مصنفاته " شرح مختصر المنتهى الأصولي " و هو من أحسن شروح المختصر، و " المواقف في علم الكلام " وغيرها، من تلاميذه سعد الدين التفتازاني، جرت للإمام الإيجي محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة ومات مسجوناً سنة ٧٥٦هـ. انظر في ترجمته الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٣٣٥ ٣٣٦.

(٣٨) انظر الزنيدي، مصادر المعرفة، ص٧٦ - ٧٧.

(٣٩) ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، تقي الدين أبو العباس، ولد سنة ٦٦١هـ، تفقه وتمهر وتميز وفاق الأقران وتوسع في المنقول والمعقول، أنكر عليه بعض أهل زمانه بعض مقالاته، وأوذي في ذلك وسجن حتى توفي في سجنه سنة ٧٢٨هـ، من مصنفاته " مجموع الفتاوى " و " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " و " منهاج السنة النبوية " غيرها. انظر في ترجمته: الشوكاني، البدر الطالع، ص٨٣. وانظر: محمد بن حسن بن عقل موسى، المختار المصون من أعلام القرون، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط/١ - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ٢٨/١ - ٤٩.

ذلك يوافق القاضي عبد الجبار[٤٠] - مع تحذيره من عواقب إتاحة النظر للعامة لصعوبة طرقه، وما قد يثيره في نفوس جمهور الخلق.[٤١]

فالشك إذن تتعدد صوره ومجالاته من كلّي إلى جزئي، ومن مطلق إلى نسبي، فيصل في قمته إلى درجة إنكار الحقائق الموضوعية، وفي أدنى منازله يكون شكاً في وسيلة من وسائل تحصيل المعرفة أو أداة من أدواتها، ويتلون اسمه بحسب نوعه ومجاله فالمتعلق بأسس الاستنباط يكون منطقياً، وربما كان جزئياً متعلقاً بالأسس المعرفية كالتجريبي[٤٢]، وغير ذلك ممّا أتينا عليه من أنواع.

المطلب الثاني: **دراسة مذاهب التيقن** (Dogmatism):

ويسمى التيقن أيضاً بالاعتقادي، أو اليقيني، أو القطعي، أو النزعة التوكيدية، أو الإيقانية، أو القطعية لاختلاف في الترجمة، وقد يُعَرَّبُ اللفظ عوضاً عن ترجمته؛ فيقال (دوجماتي) أو (النزعة الدوجماطيقية).

والتيقن في المعرفة يقابل الشك، ولكن الشك المعني ليس المعرفي، لأن التيقن نفسه بوصفه مذهباً فلسفياً، لم يعد موجوداً بغياب مذاهب الشك المطلق، فلم يعد التيقن يعني الاعتقاد بإمكانية المعرفة لغياب الفكر المناهض لهذه الدعوى، فماذا يعني التيقن إذن؟

الاعتقاديون في المصطلح المعاصر هم أنصار المذهبين العقلي والتجريبي تحديداً، ويقابلهم أنصار المذهب النقدي، ومن خلال هذه المقارنة البسيطة بين

---

(٤٠) هو شيخ المعتزلة في وقته، بسط المذهب الاعتزالي في كتابه الكبير " المغني في أبواب التوحيد والعدل " ت ٤١٥هـ، انظر في ترجمته شذرات الذهب ٢٠٢/٣ والأعلام ٢٧٣/٣.

(٤١) انظر محمد السيد الجليند، دراسة في كتاب (درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط/١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص٢٥٠.

(٤٢) راجع زقزوق، تمهيد الفلسفة، ص١٢٤ - ١٢٥.

الاعتقاديين وخصومهم - وهم النقديون - يمكننا تلمس أوجه الخلاف بينهم:

رقم	الاعتقاديـــون	النقديـــون
١	ينطلقون من نقطة يعتقدون أنها بديهية لا تحتاج إلى برهان.	يخضعون كل شيء في المعرفة للنقد، وليس لديهم ما يجنبونه النقاش.
٢	المعرفة عندهم ممكنة دون حدٍّ معين.	للمعرفة اليقينية - عندهم حدٌّ تقف عنده.

فالاعتقاديون الغربيون إذن قد تطورت صفتهم الفلسفية من خصومٍ للشكاك في العصور القديمة، إلى خصومٍ للنقديين في العصور الحديثة، كما انقسموا إلى عقليين يعدُّون العقل مصدراً وحيداً للمعرفة لا مجال معه للخبرة أو الحواس، أو تجريبيين يعدُّون التجربة الحسيّة مصدراً وحيداً للمعرفة.

وبين المذهبين حاول كانط أن يخط لنفسه منهجاً وسطياً يقرِّب بين المذهبين، فالمعرفة عنده تستقي مادتها من الإحساس، ولكن هذه التأثيرات تلج العقل في صور متشتتة وغير منتظمة، ومن هذه الأشتات يكوِّن العقل مدركاته العقلية فتصدر أحكامه التي تصدق على العالم الخارجي.(٤٣)

وبذلك يكون المذهب النقدي مقابلاً لمذهب التيقن من ناحية، وهو في ذات الوقت مذهب اعتقادي من حيث إيمانه بإمكان المعرفة في مقابل مذاهب الشك القديم (المطلق).(٤٤) وبهذا المفهوم الأخير يمكن عدّ كل المذاهب الفلسفية

(٤٣) انظر زكي نجيب محمود (د)، نظرية المعرفة، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١١٢.

(٤٤) انظر زقزوق ـ تمهيد الفلسفة، ص١٣٦.

المعاصرة مذاهب اعتقادية حتى لو قاربت النقديين كالوضعيين، بحسبان إيمانهم المبدئي بإمكان المعرفة.

ولكن يظل الأساس الراسخ لوجود معرفة يقينية أن كل إنسان عاقل يعتقد أنه يعرف شيئاً، وأنه يستطيع التعرف على بعض الأشياء ومن بعد ذلك يعقل الاختلاف في حدود المعرفة البشرية ومصادر هذه المعرفة، وطريقة تمييز الأفكار الصحيحة عن غيرها.(٤٥)

المطلب الثالث: موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق:

مدخــل:

الشك المطلق هو الشك المبني على إنكار المعرفة اليقينية، ونفي الحقائق، والقول بتكافؤ الأدلة، ومن ثم تعليق إصدار الأحكام. وهذه الصورة من الشك وصلت إلى مفكري الإسلام إثر حركة الترجمة مثلما وصلت إليهم ردود سقراط، وأفلاطون، وأرسطو على هؤلاء الشكاك والمغالطين، وفي إطار التفاعل مع تراجم الفلسفة اليونانية - ما أقر به مفكرو الإسلام وما نبذوه - جاء تناولهم لرأي الشكاك والسفسطائيين - وليس الرد معنيّاً به أهل الشك والسفسطة اليونانية بل الشاهد أن الشكاك الذين ردّ عليهم مفكرو الإسلام وفلاسفته، كانوا من المسلمين الذين تأثروا بالشكاك القدامى، ودليل ذلك أنه لا يخلو كتاب من كتب الكلام أو الفلسفة من عرضٍ لآرائهم بحيث يكون من العبث محاولة تعيين الكتب التي ذكرت آراءهم.(٤٦)

---

(٤٥) انظر محمد تقي مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، (ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني)، مؤسسة دار النشر الإسلامي، (قم المشرفة)، ١٤٠٧هـ، ١/ ١٦١.

(٤٦) د. النشار (علي سامي)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف بمصر (الإسكندرية)، ط١٩٦٦م، ص١١.

١- علاقة الشك المطلق بإمكان المعرفة:

الحديث عن موقف الإسلام من الشك المطلق، هو حديث عن الموقف من إمكان المعرفة - بالضرورة - لطبيعة العلاقة الجدلية بين الشك المطلق وإمكان المعرفة، أو لكونهما على النقيض فإثبات أحدهما نفي للآخر.

الوجود وإمكان معرفته (التصور الإسلامي للموجودات):

إذا كان الشكاك الأوائل قد وصل بهم أمر الشك المعرفي إلى حد إنكار الوجود نفسه والأشياء وإمكان إدراك طبيعة ذوات الأشياء، فإن الإسلام يقف موقفاً مغايراً لهذا التصور، إذ يقرر القرآن وجوداً مستقلاً للأشياء خارج نطاق الذات المدركة إذ يقول تعالى: ﴿ ❒◆⑥♦③⬂🖬➔🖃👌♦◆✍ ♦♦ ✍♦➔⬀🖬■☺←❑♌♦ ﴾ [النحل: ٨].

فهذا الخلق الرباني موجود من حولنا أحاط به إدراكنا أو لم يحط، أما التقسيم اليوناني للأشياء إلى:

١- فيزيقية (طبيعية).

٢- ميتافيزيقية (ما ورائية أو ما وراء الطبيعة).[٤٧]

فلا يبعد كثيراً عن التصور الإسلامي مع خصوصية المعاني والمفردات حيث تنقسم الأشياء على:

١- عالم الشهادة: ويشبه مفهوم عالم الطبيعة الخاضع لإدراك الإنسان بالحس والتجربة، والشهادة هي الخبر القاطع.

٢- عالم الغيب: ويشبه مفهوم العالم الماورائي، وهو ما غاب عن الإنسان، ولم يدركه بحسه، وإنما بإخبار من الله ورسوله.[٤٨]

---

(٤٧) انظر الزنيدي: مصادر المعرفة، ص٦٧.

(٤٨) راجع مفهوم الغيب والشهادة عند: محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ١٩٦٨م، مادة (شهد)، ص٢٧٦ - ٢٧٧، ومادة (غيب)، ص٣٨١ - ٣٨٢.

ولفظا الغيب والشهادة - مع تقابل المعنى وردا تجاوراً في كتاب الله في عشرة مواضع[49]، أسوقها مرتبة على النحو الآتي:

قولـــــه تعـــــالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنعــــام: ٧٣]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة: ٩٤]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ [illegible] ﴾ [التوبـــة: ١٠٥]، وقولـــه تعـــالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الرعــــد: ٩]، وقـــوله تعـــالى: ﴿ [illegible] ﴾ [المؤمنون:٩٢]، وقـوله تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الســـجدة: ٦]، وقـــوله تعـــالى: ﴿ [illegible]

(٤٩) نفسه، ص٢٧٧، ٣٨٢.

[illegible]

[illegible] ﴿ [الزمر: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴿ [الحشر: ٢٢]،

وقوله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴿ [الجمعة:

٨]، وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴿

[التغابن: ١٨].

وجميعها وردت في بيان اختصاص الله تعالى بالعلم المطلق (غيب وشهادة).

والمعرفة الكلية لا يتاح لبشر من خلقه أن يحيط بها على وجه الشمول واليقين.

٢- الأساس القرآني لإمكان المعرفة:

القرآن يحمل الشواهد التي تؤكد على إمكان المعرفة وإدراك الحقائق على وجه اليقين، بمصادر وأدوات توسع المفسرون في شرحها وبيانها بدلالات اللفظ والعبارة، وسنقف هنا على شواهد من الآيات التي حملت ألفاظاً ذات دلالات معرفية في سياقها المصطلحي ممثلين بآية واحدة لكل لفظ من ألفاظ (المعرفة) و (العلم) و (الحكمة) و(اليقين)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴿ [المائدة:

٨٣]. ﴿ [illegible]

·⧫♎◗ ⧫♌❑⬉➔♎⌨✸☞⧫③ ♌♎◗ ☎ ✌⚐▫◘♉↘
•• ⚫♊⅄➔⧟♎☝✂ ❑♌♎◗⧫❒ ☎ ⚫♊⅄➔⧟♎☝✂
⇧♎♎◘⧫⬂⌨☝✂ ⌘♊♉👌♎♎♉⬂⇔⬉③
⅄⊠⓿⬂★ॐ☝ ﴾ [النجم: ٢٨]. ذلك مما ورد في شأن المعرفة والعلم، وفي

شأن الحكمة قال تعالى: ﴿ ③⬉⧫⬃✌♎❼ ✂☝⧟⬂⧫⬀⌛⇩☺⍓❑⧫
👌⧫♊ ④❑⧫☝✍↗↓ 🗐 ❑⧫👌⬃☠✿ ③⬉⧫⬃
✂☝⧟⬂⧫⬀⌛⇩☺⍓❑⧫ ▫⧫◗⧫⑨⇳ 🕮⬆❑✌♎❼⧫
⌘⍓❷⬀❸☪✂ 🖹•⧾♉❷❸☪✂ 🗏 ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة قد فسرها المفسرون (بإصابة الحق والعمل به).(٥٠)

وفي شأن اليقين وتناقضه مع الظن يقول تعالى: ﴿ ◗♎♌ ☼✵➔⓿♊❺
◗♎·• ➔⧫☪⊠☝ ❑⧫👌⧫☝ ♱⧫⧫⬂♊➔
🖃♎☺➔○⇔☹❑⓿⬂◗⬀✡♉✓▫⌘ ﴾ [الجاثية: ٣٢].

كذلك أبان القرآن العلاقة الجدلية بين الشك واليقين، والعلم والظن في

مقابلـــــة بليغـــــة حوتهـــــا آيـــــة واحـــــدة في قولـــــه تعـــــالى: ﴿
❑⧫🔔⧫❑⬀⧟♉♑♎☠⬀ ◗♎☼✵☝ 🔔⧫☝⧫◘▫☪⧫☝
✂☝✈▫☼❑○⬁⓿⊠⬄ ⬉♉⑩☉✿♐ ✂☝⇔⬂✕⧫
♎⧫④⇔③⧫☠⌘ ❻⧫♋➔❑✌⧫ ✂☝✍★ ❑⧫👌⧫☝
🔔⧫☞⧫◘➔❑■➔ ❑⧫👌⧫☝ 🕒✿◘■⌨➔■❑➔
❑⧫⧟⧫🕒▤⬀♊ ⅄↗⌨○♎○⧫ ⚌○●➔☠⬀ 🗐
⧫♎♉♊⬃⧫♉⇦✕⧫ ✂☝✍⅄🔔♉⇦✕⧫ ❑♌♎◗⧫❒
✂☝⌘⬀⧫◘■▦➔❑✂☎ ▫♉⓿❍♉ ⧟⧫⬃✂⬀❼
⅄⊠⌨♏⌨ 👌♓♉⬃⚪➔ 🗐 👌⧫☝ ⚌○●➔💣
·⧫♎◗ ✌⚐▫◘♉↘ ⇳♊♉👌 🕐♉○♎🖃
🗐 ⬀♎♊⅄➔⧟☝✂ ⧫⬋☝⧫⌨♉❑✍☝✂

(٥٠) كما ذكر القرطبي من معاني الحكمة: الإصابة في القول والفعل، انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٣. وانظر: غنيم، كارم السيد: قضية العلم والمعرفة عند المسلمين، بحث منشور بمجلة المسلم المعاصر، السنة العاشرة، العدد (٣٩).

❒◆✌♦✍ ☝♦☞♦🕭 ➔■❏➔🖬♦ ➂♦❩☜⑩☪☺✍ ﴾ [النساء: ١٥٧].

وإذا استصحبنا تداخل المعاني بين ألفاظ المعرفة، والحكمة، والعلم في النصوص الشرعية، والفكر الإسلامي عموماً، علمنا أن الإسلام يحض على طلب العلم الراسخ والمعرفة اليقينية، ويدعو إلى نبذ الظنون، والشك، والتوهم ما أمكن ذلك، والنصوص الحاضة على العلم، والتفكر، والتأمل كثيرة في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، ومن أدوات المعرفة التي أشادت بها النصوص (الاجتهاد في الرأي) و(الاستنباط) المبني على أسس النصوص وأصولها، والصادر ممن هو أهل لذلك، فقد قال تعالى ناسباً إلى الأئمة المجتهدين القدرة على معرفة مراده.

﴾ ❒◆❩♋❶♦✃ ♊⍓⌂✍↗◆♎➔☠⬀ 🕮❒✌⬂❷⌧
✌♓♋♊⌘ ✃✍❀☞✌⬂♊⬰ 🕮❒❒♋
✃✍◎⬂②⍓❏⬀✍◎ 🕮❒❶♦✃⬉⬉❏✃☎
✉♋❍♋🕔 ☎ ❒◆◎♦❏⬀ ❻◆⑩♋❒■➔ ❩♋❒■❼
✃✍◎❷▪♋➔❏✌♊ ❒◆❩♋❒■⑥✃ 🕮⬆❒🕯❒♋❼
✃✍❀☞✌⬂❷⌧ ✌♋☸⬃&⬋☠⬀
◎♦➔⌂♋❩☺⌂❍➔ ✃✍✍⍓🕭♋⇦✕◆
④❒⬄☹❒☪✉♋➲⬈❏☼◆❍➔🕛 ✌♋☸⬃&⬋☠⬀
▤❒◆◎♦❏⬀♦♦▫♦♋⇳✍⬉ ✃✍✍★
⬉◆🖬■⑩⬂⌛→☠⬀ ❒◆❻◆❒⬃☟◆☝➔❍➔🕛
♦☸✍❏⌛◆➔⬃☞➔⚐⚉ ✃✍◎⌖⦿⑩⬂➲♦🕛♊⌘
♋♦♦🕭♦🖬♋⑩⌧⌖ ﴾ [النساء: ٨٣] والاستنباط معرفة بطريق النظر، وكذلك عندما طلب سيدنا إبراهيم من ربه دليلاً يحقق له طمأنينة النفس فأعلمه الله بآية منه كيف يحيى الموتى ثم خاطبه بقوله: ﴾ ❒◆✃✍⬊⬃■☠⬀ 🕮❒♌❏ ✃✍✍⍓ ⬉◆⑩♋③❽➘
❍⌂▤⬁➚☹⮘ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فالإشارة هنا إلى العلم اليقيني الذي يرسخ الإيمان ويحقق طمأنينة القلب.

وهـــو العلـــم النـــافع الـــذي قـــال الله تعـــالى فيـــه ﴿ ✆♎☼✵☺⍓👓 ⑥♦③⬂⟐⍓♎ ✂👓✎⅄ 👌♋♊⇳⬉♋⧗♦👓⑩♋■♎ ✂👓✇ᔓ⬂➔⬉🖫■☺⍓🕔✵♦→✂☎ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣- **الشكاك وموقف مفكري الإسلام منهم:**

قبل الحديث عن موقف مفكري الإسلام من الشكّاك، وردّهم عليهم، يتوجّب أن نرى أولاً من هم الشكّاك في نظر هؤلاء العلماء، وصفتهم، وتصنيفهم. ونأخذ هنا بتصنيف الإيجي الذي يكاد يمثل رأي متكلمي الإسلام من حيث تقسيم الشكّاك إلى ثلاث فئات تجمع الشكّاك والمغالطين (السفسطائيين) في جانب واحد وهم بحسب هذا التقسيم:[٥١]

أ- العنادية: والتسمية من معاندتهم في إنكار الوجود وحقائقه، وعدّ المعرفة محض أوهام وضلالات، فهم ينكرون حتى البديهيات، ومن عجب أنهم يشكون بجزم ويقين يناقضان الشك.

ب- اللاأدرية: وهؤلاء يشكون في كل شيء حتى شكهم، وسمّوا بذلك لأن ردهم على كل سؤال (لا أدري) بل من مغالطاتهم قولهم (أنا لا أدري ولا أدري أنني لا أدري) أو (أنا أشك وأشك في أنني أشك) وهم يشكون في قدرة الحواس والعقل على تبليغ المعرفة الحقة، ولأن بلوغ اليقين في أي أمر محال عندهم فهم يدعون إلى تعليق الحكم على الأشياء ووقفها، وعدم المبالاة بأي شيء لأن ذلك - عندهم - هو السبيل إلى طمأنينة النفس.

(٥١) انظر في ذلك: الإيجي: المواقف بشرح الجرجاني، ط (القسطنطينية)، (١٢٨٦هـ)، ص٤٢ - ٤٣. وأيضاً: جورج سارتون: تاريخ العلم، ترجمة د. توفيق الطويل وآخرين، دار المعارف (القاهرة) ١٩٦١م، ج٣، ص٣٦٠ - ٣٦١.

ج - العندية: وهم يؤمنون بتعلق الحقيقة بالذات المدركة، فكل إنسان يرى الحقيقة والصواب من جانبه فقط، أي عنده، ومن هنا سميت بالعندية، وهو مصيب في ذلك لنسبية الحق فلا مجال للخطأ، وهو رأي المغالطين أو السوفسطائيين القدامى.

ونلاحظ أن الإمام الغزالي قد عدّ الشك والسفسطة شيئاً واحداً بحسبان إلغاء المذهبين لوظيفة العقل، وعدم الثقة فيه، بل توسع الغزالي في هذا المفهوم وضمّ إليهم دعاة التقليد (المقلدة) للسبب نفسه وهو - إلغاء العقل - يقول في ذلك:

(فكل من يناظر في إيجاب التقليد سوفسطائي في الزجر عن النظر).[٥٢]

ويعلّل سبب نسبتهم إلى الشكّاك بقوله (لا مستند لهم إلا أن العقول لا ثقة بها، والاختلافات فيها كثيرة، فسلوك طريق التقليد أولى).[٥٣]

٤- الرد على الشكاك:

تفاوت الرد على الشكّاك، والموقف منهم بين فلاسفة الإسلام و مفكريه، فمنهم من ردّ على الشكّاك بالمنطق نفسه الذي استخدمه أفلاطون وأرسطو من قبل، وهو منطق عقلي قياسي، ومنهم من رد عليهم من منطلق الأساس العقدي برفض حججهم المنافية للفطرة، والمنافية للمحكم من نصوص الشرع، وشريحة ثالثة ردت عليهم من داخل منطقهم بإبراز تناقضه مع نفسه وأنه محض مغالطة.

والذين أخذوا برد أفلاطون عليهم ركزوا أولاً على نفي ادعائهم بأن المحسوسات هي مصدر المعرفة الوحيد، ومن ثم فإن الخطأ والتوهم الناجم عن الحواس يمكن تصحيحه إما بالعقل، والبرهان، والتجربة، أو بتصحيح الحواس

(٥٢) الغزالي: معيار العلم، ص٢٤١.

(٥٣) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

لبعضها البعض حيث أن معرفة الحواس جزئية وكل حاسة تعطي جانباً من حقيقة المحسوس وهذه الصورة تكملها الحواس الأخرى أو العقل.[٥٤]

أما إنكارهم للبديهيات بحجة اختلاف الآراء والبيئات وغيرها فإن كل ذلك جائز ولكنه لا ينفي وجود بديهيات يلتقي الناس حولها ويتفقون عليها كالحقائق الأخلاقية والقواعد الرياضية.

وأما رفضهم للبديهيات العقلية بحجة امتناع البرهان التام، فقد ردّ بأن للعقل قضايا كلية لا يمكن الاختلاف فيها أو المغالطة فيها كبديهية (الكل أكبر من الجزء والجزء أصغر من الكل).

ولكن الغزالي يرد حجة الشكّاك بعدم الاعتراف بقبول النظر العقلي بأن قبولهم بمناظرة الغير هو نفسه اعترافاً ضمنياً بقبول النظر العقلي، يقول: (فالسفسطائي كيف يناظر؟ ومناظرته في نفسها اعتراف بطريق النظر).[٥٥]

أما الإمام الإيجي فقد رجح منع العلماء لمناظرتهم إذ يقول (والمناظرة معهم منعها المحققون؛ لأنها لإفادة المجهول بالمعلوم، والخصم لا يعترف بمعلوم حتى يثبت به مجهول).[٥٦]

وكذلك رتب المتأخرون هذه الحجج في ثلاث نقاط:[٥٧]

أولاً: الشاك عاجز عن إثبات مذهبه، لأنه إن قدم حججاً في النفي والإثبات، فقد أقر بالعلم اليقيني، وإن اكتفى بإثباتها جزافاً ردت عليه جزافاً بغير برهان.

---

(٥٤) راجع: الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ج٣، ص٩٢ - ٩٤.

(٥٥) الغزالي (أبو حامد): معيار العلم، ص٢٤١.

(٥٦) الإيجي (القاضي عبد الرحمن بن أحمد): المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط/ ١٩٧٩م، ص١٢.

(٥٧) يوسف كرم: العقل والوجود، دار المعارف (القاهرة)، ط/١٩٦٤م، ص٦١٢ - ٦٣. ونفس المؤلف تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط/ ٣، ص٣١ - ٣٣.

ثانياً: الشاك في مذهبه إما أنه متيقن من صحة شكه (فذلك من اليقين)، وإما أنه راجح لديه، فالترجيح يحتاج إلى مرجح ودليل، وإما أنه غير متيقن ولا مرجح، وحينها لا يصح وصفه بالمذهبية إذ هو عاجز مقر بعجزه عن إثبات مذهبه.

ثالثاً: الشك نفسه بوصفه مذهباً يحمل ثلاث بديهيات وهي: وجود الذات المفكرة (وهي تلك التي أثبتها ديكارت في شكه). والثانية هي عدم جواز التناقض، والثالثة كفاية العقل لمعرفة الحقيقة، إذ إن إعلان الشك نفسه إنما هو صورة من نقد العقل للعقل.

المطلب الرابع: موقف الفكر الإسلامي من الشك المنهجي:

الشك بوصفه وسيلة لنفي المعارف الظنية وإبدالها بمعارف يقينية بعد إعمال النظر أمر لا خلاف عليه بين مفكري الإسلام، وإنما ثار خلافهم حول: متى يجوز للمسلم أن يشك؟، ومتى يتوجب عليه هذا الشك؟، وأيضاً متى يمتنع عليه اتخاذ موقف الشك؟.

جذور الشك المنهجي في الإسلام:

بدأ الشك بوصفه منهجاً معرفياً مع ظهور المذاهب العقلية في الإسلام أي المدارس الكلامية، وعلى رأسها المعتزلة، وهذا يعني أن فقهاء الصحابة والتابعين لم يتعرضوا للحكم على الشك والشكّاك.

وأما كون هذا المنهج بدأ في وقت مبكر مع أوائل أهل الاعتزال، فيؤكده ما نقله الجاحظ(٥٨) عن النظّام(٥٩) - أحد شيوخ الاعتزال قوله: (لم يكن يقين

(٥٨) الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف، أخذ على النظام وغيره، كان " ماجناً قليل الدين له نوادر " وكان من الأذكياء شغوفاً بالمطالعة له كتاب " الحيوان " في سبع مجلدات، وكتاب " النساء " و كتاب " البيان والتبيين " و " الرد على أصحاب الإلهام " و " الرد على النصارى واليهود " و " البخلاء " وغيرها. مات الجاحظ سنة ٢٥٠هـ وقيل سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على=

قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك)[٦٠].

ويشير الجاحظ إلى أن الشك طبقات - درجات - بإجماع الأئمة، خلاف اليقين الذي لم يجمعوا على أنه طبقات.

وما أشار إليه الجاحظ سليم، فإن علماء المسلمين لم يجمعوا على أن اليقين طبقات كالشك، فهناك من ذهب إلى أن اليقين لا مجال فيه للتفاوت، والزيادة، والنقصان، وإلى هذا الرأي ذهب ابن حزم[٦١] حيث يقول "اليقين لا يتفاضل"[٦٢] وهذا أيضاً معنى قول ابن عطية[٦٣] "فاليقين لا يتبعض".[٦٤]

=التسعين. انظر في ترجمته الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١١ - ٥٣١. وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ترجمة رقم (٥٠٦)، ٤٧٠/٣ - ٤٧٥.

(٥٩) النظام: هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار، المعروف بالنظام وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف وعنه أخذ الاعتزال وهو شيخ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، يعد من أذكياء المعتزلة وذوي النباهة فيهم يذكرون أنه ظهر في سنة ٢٢٠هـ وقرر مذهب الفلاسفة في القدر فتبعه خلق. والنظام في الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة عند ابن المرتضى، وكان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة، ومال في كلامه إلى الطبيعيين منهم والإلهيين فاستنبط من كلامهم مسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة. اشتغل على خاله أبي الهذيل العلاف بالكلام إلى أن برع ثم ناظر أبا الهذيل وظهر عليه مراراً، وقد أداه ذكاؤه المتوقد، وبيانه المتدفق، واطلاعه الكثير إلى المذاهب التي استنكرت عليه واستبشعت منه، وسبحان الذي يهدي من يشاء إلى سواء السبيل وقد توفي النظام فيما بين سنة ٢٢١هـ وسنة ٢٣١هـ، انظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (١٧٢)، ٥٤١/١٠ - ٤٤٢. وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي الأتابكي ٢٣٤/٢.

(٦٠) الجاحظ (أبو عثمان): كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، منشورات محمد الداية (بيروت)، ط/٣ (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م) ٦/ ٣٥ - ٣٦.

(٦١) هو الفقيه الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم خالف أهل الأندلس. فقد كانوا على المذهب المالكي فشذ واتبع المذهب الشافعي ثم شذ أكثر فاختار المذهب الظاهري ولد سنة ٣٨٤هـ. قال فيه ابن كثير: " إن ابن حزم مع ظاهريته في الفروع وعدم قوله بالقياس من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات " وأثنى عليه الإمام الذهبي وعلى علمه ودينه وانتقده في أمور، والكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وقدم الإمام العز بن عبد السلام كتاب المحلى لابن حزم على كل كتب العلم، ووافقه الإمام الذهبي في ذلك. من مصنفاته - المحلى=

وقد استعمل اليقين في القرآن الكريم بهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ ❒◆✍☒✉✉⌧☛⌘⬀❷◆❑⌀☈⇖✍⬁
③⇖❑♔✪⇖❑♌◆ ﴾ [البقرة: ٤] وقوله تعالى على لسان الهدهد لسليمان: ﴿ ❒◆♉⬀☉⬂☝⬅①☙☝✪♊☙⌧⌨◆✉◎
✍✪♈◆⌛◆✉💻 ③◆◗✍✓✗✌ ﴾ [النمل: ٢٢].

ومن هنا ذهب المحققون من المفسرين إلى أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿ ❻◆✇ 🕮❒❻⌀☼✪❻ 🖹•⓿⬂✁⌧ ✍➔♦⬄❻⬁
✁✉✉☜⬂☺⌧❑⬀✌◆❼🗐 ☎ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] لم يكن عن شك ولا لنقص يقين وإنما معناه كما قال القرطبي[٦٥]: "سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهاناً والمعلوم عياناً".[٦٦]

=بالآثار والفصل في الملل ولأهواء والنحل وغيرها من المصنفات القيمة. توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٥٦هـ. انظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (٩٩)، ١٨/١٨٤، وانظر: ابن كثير - البداية والنهاية ١٢/٤٥٦.

(٦٢) ابن حزم الأندلسي، المحلى بالآثار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ١/٤١.

(٦٣) ابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين، القاضي، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه واللغة والأدب، من مؤلفاته " المحرر الوجيز " في التفسير، كان مولده سنة ٤٨٠ و قيل سنة ٤٨١هـ ووفاته سنة ٥٤١ هـ، انظر في ترجمته: الإمام السيوطي، طبقات المفسرين، ترجمة رقم (٤٩) ص: ٦٠ - ٦١ و انظر الداودي، طبقات المفسرين ١/٢٦٠ - ٢٦١.

(٦٤) ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، نشر وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ط/١ - ٢/٣٠٤.

(٦٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان " الجامع لأحكام القرآن "، قال الإمام الذهبي عنه: " إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة، توفي سنة ٦٧١هـ، انظر في ترجمته: السيوطي، طبقات المفسرين، ترجمة رقم (٨٨)، ص٩٢.

(٦٦) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ١٣/٣٠٠.

قال ابن عطية: "ذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به"[٦٧] فهو عليه السلام أراد أن ينتقل من اليقين العقلي البرهاني إلى اليقين الحسي العياني، وليس في هذا زيادة في درجة اليقين كما قال الريسوني[٦٨] ولكن فيه مزيد انشراح وبهجة[٦٩] وهو ما عبر عنه إبراهيم عليه السلام بالطمأنينة ﴿ ♦✌︎☞︎⬧︎🕭 ☎︎ ♓︎⧫︎✍︎⬀︎⬧︎➔︎✍︎ ⬀︎☠︎⬧︎◆︎❑︎❑︎🕮 ♦✌︎☞︎⬧︎🕭 ♦📪︎♦︎✍︎■︎❼📄 ❑︎◆︎◆︎⬧︎🕔︎▤︎⬀︎♓︎ ◆︎◆︎⑩⧫︎⬧︎➲︎⇳︎☺︎⍓︎⌑︎⬧︎♓︎⭘︎ 🕭⬧︎◘︎🖫︎⬀︎⬀︎⬧︎﴾ [البقرة: ٢٠٦].

غير أن هناك من علماء المسلمين من فرق بين اليقين، وعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين أخذاً من قوله تعالى في سورة التكاثر ﴿ ☜︎☝︎☒︎☒︎· ⬀︎◆︎☠︎❑︎⬀︎✍︎⧫︎◆︎➔︎⬁︎■︎☺︎🡐︎❑︎♌︎⧫︎⬂︎⧫︎■︎☠︎⌘ ✄︎☞︎◆︎◆︎⓿◆︎☽︎🕾︎✓✗⬀︎ ⬀︎⧫︎⬀︎ ◆︎♦︎✋︎♦︎❸◆︎❑︎⬉︎♍︎· ✄︎☞︎◆︎💻︎⬂︎♑︎❑︎♦︎⬀︎⑩🏱︎⌘ ⬀︎⧫︎⬀︎ ﴾ [التكاثر: ٥- ٧] وقوله تعالى: ﴿ ☽︎⧫︎♌︎ ⎐︎⬁︎🕔︎⓿☒︎✄︎ ▭︎❍︎●︎🡐︎❑︎◆︎ ❍︎⬁︎📭︎❻ ✄︎☞︎◆︎◆︎⓿◆︎☽︎🕾︎✓✗⬀︎ ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وقد أورد الجرجاني[٧٠] في التعريفات إيضاحاً لهذا: "فعلم كل عاقل الموت: علم اليقين، فإذا عاين الملائكة: فهو عين اليقين. فإذا ذاق الموت: فهو حق اليقين".[٧١]

---

(٦٧) انظر ابن عطية، مرجع سابق ٣٠٢/٢.

(٦٨) باحث معاصر من المغرب الأقصى، متخصص في أصول الفقه، له عدة مصنفات أهمها: "نظرية التقريب والتغليب"، و"نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، وغيرهما من المصنفات النافعة. (الباحث).

(٦٩) انظر الريسوني، نظرية التقريب والتغليب، ص١٨.

(٧٠) الجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، ولد سنة ٧٤٠هـ وذكر السيوطي أن ميلاده كان سنة ٧٠٤هـ، كان إماماً في جميع العلوم العقلية والنقلية مصنفاً في جميع أنواعها، شرح "المواقف في علم الكلام" للإيجي (ت ٧٥٦هـ) وله حاشية على الكشاف وحاشية على تجريد الاعتقاد للطوسي وغيرها من المصنفات الحسان، توفي رحمه الله سنة ٨١٦هـ بشيراز، انظر في ترجمته: الشوكاني - البدر الطالع ترجمة رقم (٣٣٨) ص: ٤٨٩ - ٤٩١. وانظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت

وقيل: علم اليقين: ما يحصل عن الفكر والنظر، كعلمنا بوجود الماء في البحر، وعين اليقين: ما يحصل عن مشاهدة وعيان، كمن مشى ووقف على ساحل البحر وعاينه، وحق اليقين: ما يحصل عن العلم والمشاهدة معاً، كمن خاض في البحر واغتسل بمائه".(٧٢)

ولعله من الضروري التنبيه على أن اليقين سواء عند من يرى بأنه لا يتفاوت ولا يزيد ولا ينقص أو عند من يرى أنه طبقات، هو خلاف الشك وضده، فكل ما ليس يقيناً فهو شك، وإن كان الشك في بعض الأحيان يقصد به الظن، وأحياناً يقصد به التردد بين احتمالين متساويين يقول ابن القيم(٧٣): "حيث أطلق الفقهاء لفظ الشك فمرادهم به: التردد بين وجود الشئ وعدمه، سواء تساوى الاحتمالان أو رجح أحدهما".(٧٤)

ولكن الذي يعنينا هو الشك المنهجي المؤدي إلى الحق واليقين والذي أسهم المعتزلة في تأسيسه كما مرّ بنا قريباً، حيث جعل الجبائيان(٧٥) الشك جزءاً واجباً من النظر العقلي. ووصفه أبو هاشم الجبائي بأنه أول الواجبات.

ولكن هذا الشك لم يظهر بوصفه منهجاً معرفياً متكاملاً إلا على يد الإمام الغزالي الذي حدد مهمته، وأكد وجوبيته في مقولته الشهيرة (فمن لم

٩١١هـ)، كتاب بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ للطبع ولا عدد، ص٣٥١.

(٧١) الجرجاني، التعريفات، ص٤٨.

(٧٢) صليبا، المعجم الفلسفي ٥٨٨/٢ - ٥٨٩.

(٧٣) ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر أحد كبار تلاميذ ابن تيمية الأعلام - صنف في أكثر العلوم من أشهر مصنفاته " حادي الأرواح " و " اجتماع الجيوش الإسلامية " و " والروح" و "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " تابع شيخه ابن تيمية في أكثر مسائل العقيدة، توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٥١هـ، انظر في ترجمته شذرات الذهب ١٦٨/٦ والأعلام للزركلي ٥٦/٦.

(٧٤) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، بدون تاريخ للطبع ولا عدد ٢٦/٤.

(٧٥) الجبائيان هما: الأول: أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وأما الثاني فهو ابنه: أبو هاشم الجبائي، وقد سبقت ترجمتهما.

يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلالة).[٧٦]

والغزالي كان من أكبر الدعاة إلى استخدام العقل ورأينا رفضه لمن يأخذون الدين (الاعتقاد) تقليداً، وهذا هو موقف الأشاعرة عموماً في عدم تجويز الاعتقاد بالتقليد حتى أن الإمام الأشعري[٧٧] كان قد قضى بتكفير المقلد[٧٨]، واشتهرت من أقوالهم مقولة (ليس مؤمناً من لم يستدل).[٧٩]

الخاتمة:

وكما قدمت لهذه المقاربة في إمكانية المعرفة وموقف الفكر الإسلامي من مذاهب الشك بسؤال، أختمها أيضاً بسؤال مفاده: هل الشك المنهجي وسيلة لبناء المعرفة مطلقاً أم نوعاً معيناً من المعرفة؟ وبصيغة أخرى هل الحقيقة التي يطلبها المسلم في سعيه هي الحقيقة نفسها التي يرتجيها غيره؟

الراجح بل اليقين أن المعرفة والحقيقة التي يطلبها المسلم ليست بالضرورة خاضعة لتجربة الشك - ففيما عدا الخلاف الذي وقع في وجوب الشك وجوازه بغرض تأسيس الاعتقاد (الإيمان بالله) عند بداية الرشد والتكليف، فإن المسلم ليس له إخضاع المسلمات العقدية لتجربة الشك بدعوى البحث عن اليقين، وكذلك المعرفة المتولدة لديه من الخبر الصادق وحياً وسنة في دائرة الغيب أو

(٧٦) الغزالي (أبو حامد): ميزان العمل، ص٤٠٩.

(٧٧) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سالم بن عامر بن أبي موسى الأشعري البصري المتكلم، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وسكن ببغداد، بقي على مذهب الاعتزال أربعين سنة ثم رجع إلى مذهب أهل السنة ورد على الملاحدة والشيعة والمعتزلة والخوارج والجهمية. من أهم مصنفاته " الإبانة في أصول الديانة" و "مقالات الإسلاميين " و "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع " وغيرها. توفي سنة ٣٢٤هـ انظر في ترجمته الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨٥/١٥ - ٩٠.

(٧٨) انظر الماتريدي (أبو منصور محمد): كتاب التوحيد، تحقيق وتقديم د. فتح الله خليف، دار المشرق (بيروت) ط/ ١٩٧٠م، مقدمة المحقق، ص٢٦.

(٧٩) جودة (ناجي حسين): المعرفة الصوفية، ص٧٨.

الشهادة يجب التسليم بها ، ولكن في دائرة العلم الشرعي نفسه نجد مساحة لإعمال العقل والفكر ، كالاجتهاد القائم على النصوص التي تحتاج إلى نظر وتدبّر ممن بلغ رتبة الاجتهاد ، وحاز هذه الأهلية ، وتحققت فيه شرائط الاجتهاد ، وذلك بغرض استجلاء الحكم الشرعي أو الترجيح بين الأدلة لتحقيق المعرفة اليقينية التي ترسخ الإيمان وهذا هو مقام قوله تعالى: ﴿ ③ ⧫ ❷ ⬀ ▫ ⬧ ➚ ⇗
✄ ☞ ✍ ✦ ✄ ☞ ✍ ⅄ 🔔 ⚮ ⇦ × ⧫ ⬈ ◆ ✄ ✌ ⧫ ☪ ⇱ ❑ ✄ ☎
✌ ⚮ ☪ ▤ ⬈ ☠ ⬀ ❒ ◆ ✄ ☞ ✍ ⅄ 🔔 ⚮ ⇦ × ⧫ 🕮 ⬆ ❒ ✍ ➔ ❑ ✄ ☎
✄ ☞ ⑩ ⬂ ➔ ⚮ 🖫 ▫ ⚐ ⌘ ⑩ ⌂ ❻ ◆ ♉ ⌂ 🕔 💣 ▭ 🗐 ﴾ [المجادلة: ١١].

وهذه المعرفة يقينية بناءة تنبذ الشك ومذاهب اللاأدرية ، وبما أنها عقلانية فهي ليست تخمينية ، بل هي مبنية على أساس ثابت يقيني ومحدد ألا وهو الوحي المعصوم بشقيه القرآن الكريم والسنة المطهرة.

المصادر والمراجع

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٣٥٩هـ.

٢. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط/٢، د.ت.

٣. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، د. ت.

٤. ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، المحلى بالآثار، منشورات المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

٥. ابن خلكان، شمس الدين (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٧. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤١هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، نشر وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ط/١، د.ت.

٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، د. ت.

٩. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٧٧م.

١٠. أحمد البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، ومطابع مؤسسة البيادر، الشوف، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١١. ألبير ريفو، الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها التاريخية، ترجمة عبد الحميد محمود، طبعة مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ت.

١٢. الإيجي، القاضي عبد الرحمن بن أحمد(ت٧٥٦هـ)، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٣. الإيجي، المواقف بشرح الجرجاني، القسطنطينية، الجزائر، ١٢٨٦هـ.

١٤. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/١، ١٩٨٤م.

١٥. بوخينسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/٢، ١٩٧٩م.

١٦. تراث الإنسانية، دار الرشاد الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ للطبع ولا عدد، الجزء الثالث، "جمهورية أفلاطون"، للدكتورة أميرة حلمي مطر.

١٧. الجاحظ، أبو عثمان(ت٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، منشورات محمد الداية، بيروت، ط/٣، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م، ٦/ ٣٥ - ٣٦.

١٨. الجرجاني، السيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، نشر الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت.

١٩. جودة، ناجي حسين، المعرفة الصوفية (دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة)، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٢م.

٢٠. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٩٧م.

٢١. د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط/٦، ١٩٧٥م.

٢٢. الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة ط/٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٣. الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٠، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٤. الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب، مطبعة مصعب، مكناس، المملكة المغربية، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان ط/٥ وط/٦، ١٩٨٤م.

٢٦. زقزوق، محمود حمدي، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٣م.

٢٧. زقزوق، ، محمود حمدي، تمهيد الفلسفة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٨. زكريا بشير إمام، دراسات نقدية في الفلسفة الإسلامية، الدار السودانية، دار الجيل، بيروت،ط/١، ١٩٩١م.

٢٩. زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣٠. الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط/١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣١. سارتون، جورج، تاريخ العلم، ترجمة د. توفيق الطويل وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

٣٢. الستاوي، سليمان محمد وسعيد أبو زيد، نظرية المعرفة، مطبوعات وزارة التربية والتعليم بدولة قطر، ط/٩، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٣٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ للطبع ولا عدد

٣٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ط/١، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.
٣٥. الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٦. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٣٧. طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط/٢، ١٩٩٧م.
٣٨. الطويل، توفيق، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.
٣٩. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٤م.
٤٠. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، معيار العلم، تحقيق سلميان دنيا، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
٤١. الغزالي، ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦٤م.
٤٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
٤٣. الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط/١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٤٤. كرم، يوسف، العقل والوجود، دار المعارف، القاهرة، ط/١٩٦٤م.
٤٥. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط/ ٣، د.ت.
٤٦. الماتريدي، أبو منصور (ت٣٣٣م)، كتاب التوحيد، تحقيق وتقديم فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠م.

٤٧. محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٨. محمد السيد الجليند، دراسة في كتاب (درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط/١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٤٩. محمد رضا عبد الفتاح، الديالكتيك والحب عند أفلاطون (ضمن مشكلات فلسفية)، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط/١، ١٩٩٩م.

٥٠. محمد عبد الرحمن مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط/٣، ١٩٨٣م.

٥١. المهدلي، محمد عقيل، المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت، دار الحديث، القاهرة، ط/٢، ١٩٩٦م.

٥٢. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وجلال العشري وعبدالرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها د. زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، د. ت.

٥٣. الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، إشراف م. روزنتال و ب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط/٧، ١٩٩٧م.

٥٤. النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف بمصر، الإسكندرية، ط١٩٦٦م.

٥٥. الهمذاني، القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل (النظر والمعارف ج ١٢)، تحقيق إبراهيم مدكور و طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٥٦. وولترستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٧٨م.

٥٧. اليزدي، محمد تقي المصباح، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، مؤسسة دار النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

المجلات والدوريات:

٥٨. غنيم، كارم السيد، "قضية العلم والمعرفة عند المسلمين"، بحث منشور بمجلة المسلم المعاصر، السنة العاشرة، العدد (٣٩).

المراجع الأجنبية:

59. William GH. Freeman, Physical Education in a changing society U.S.A. 1977.